

جولة رايس، والعرب والسوفييت عام 1973!

بقلم: نصر شمالي

ونحن نتابع اليوم السياسات الأميركية المتعثرة، والجولة المرتبكة لوزيرة الخارجية كونداليزا رايس في بلادنا، الساعية إلى إقامة حلف إقليمي محلي ينهض للدفاع عن مصالحها، نعود إلى الوثائق الأميركية الرسمية القديمة لنرى كيف أن الديكتاتورية الأميركية لم تتوقف يوماً واحداً طوال تاريخها عن محاولات إلحاق أشد الضرر وأقسى الهزائم بجميع الكتل البشرية في جميع القارات، ومن هذه الوثائق محضر اجتماع عقد في نيويورك عام 1975، بين وزير الخارجية هنري كيسنجر وعدد من زعماء الجالية اليهودية الأميركية، جرى فيه استعراض السياسة الأميركية خلال حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، بشقيها المتعلق من جهة بالعرب ومن جهة أخرى بالسوفييت، وإنه لمن الموجه أن نرى كيف كان بعض الحكام العرب يساعدون الأميركيين ضدّ أمتهم وضدّ السوفييت الذين يناصرونها!

الحرب ضدّ العرب والسوفييت!

لقد أوضح كيسنجر بجلاء، في حديثه أمام الزعماء الأميركيين اليهود، أن إستراتيجيته تقوم منذ عام 1969 على إحباط العلاقات العربية السوفييتية، فإذا أحبطت هذه العلاقات - على حدّ قوله - أمكن الشروع في عملية السلام، وبالطبع فإن هذا الكلام يعني بكل بساطة حرمان العرب من مصدر تسلّحهم ومن ثم إرغامهم على الاستسلام! وبينما راهن بعض القادة العرب على مساعدة الولايات المتحدة، باعتبارها طرفاً ثالثاً يمكن أن يكون محايداً وعادلاً رغم تعاطفها مع الإسرائيليين، فإن الوثيقة الكيسنجرية تؤكد بجلاء أنها كانت طرفاً في الحرب ضدّ العرب. قال كيسنجر للزعماء اليهود: ما كنا نرغب في تحقيقه هو أن تنزل بالعرب أفدح هزيمة، كي يتبين لهم بجلاء أن اعتمادهم على السوفييت (أي نزوعهم نحو التحرر طبعاً) لن يبلغهم مرامهم! ويفضح كيسنجر خرافة كون واشنطن طرفاً ثالثاً عندما يقول: أما السبب في حالة الركود فهو أن الإسرائيليين لم يكونوا مهيبين للحرب، ولم يوفروا لنا من المعلومات خلال الحرب ما يفني بالعرض! وهذا الكلام يدلّ بوضوح على أن الأميركيين كانوا منخرطين في تلك الحرب ضدّ العرب والسوفييت! يضيف كيسنجر: كنا نريد تأخير صدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار حتى نتيح للإسرائيليين القتال لمدة 72 ساعة أخرى، وكان ذهابي إلى موسكو أسلوباً لجأت إليه لأعطي الإسرائيليين مدّة أطول، وقد أعلنت الولايات المتحدة حالة الاستنفار النووي لردع السوفييت عن القيام بأي عمل منفرد!

يقول كيسنجر: كانت إستراتيجيتنا تقوم على السعي لتفكيك الجبهة العربية المتحدة، وضمان عدم تدخل الأوروبيين واليابانيين في الجهد الدبلوماسي، وإبقاء السوفييت خارج الحلبة الدبلوماسية، وأخيراً خلق وضع يمكن الإسرائيليين من التعامل مع كل من جيرانهم فرادى!

كيسنجر وغروميكو ومنظمة التحرير!

لقد قام السادات بطرد الروس من مصر، مع أن كيسنجر لم يكن يأخذه على محمل الجدّ حسب قوله، فكانت خطوة كبيرة لصالح الإستراتيجية الأميركية التي تطلعت إلى إحباط العلاقات العربية السوفييتية. ثم كانت الحرب، فأنتقدت واشنطن "إسرائيل" من الانهيار في نهاية الأسبوع الأول من الحرب، بفضل شحنات الأسلحة الأميركية كما يقول كيسنجر، وبينما شحن الأسلحة مستمر كان السادات يبعث إليه بالرسائل يومياً، داعياً إياه للقدوم إلى مصر والبدء في عملية السلام بأسرع ما يمكن!

وفي وصفه للسياسة الخارجية السوفييتية حينئذ، يقول كيسنجر أنها ليست بالفائقة الكياسة، لكن السوفييت دؤوبون، والمرء يستطيع تحقيق الكثير بالدأب، خاصة إذا كان خصمه لا يفتأ يغيّر من أساليبه، لكن السوفييت، من حيث

الأساس، عاجزون بشأن التعامل مع العرب (الحكومات العربية طبعاً) وقد قال لي غروميكو أنه اقترح دعوة منظمة التحرير الفلسطينية (إلى مؤتمر السلام في جنيف) فأجبت: حسناً يا سيادة الوزير، إذا كان هذا هو اقتراحكم فأنا أرفضه، والآن اذهب إلى العرب وأخبرهم أنك قدمت الاقتراح وأنتي رفضته، وقد أخبرت العرب فوراً باقتراح غروميكو وبفضي إياه، وكان قصدي أن أبرهن كم هو قليل ما يستطيعه غروميكو!

الاختراق الروماني مثل المصري!

غير أن الجبهة العربية لم تكن إلا واحدة من جبهات العمل الأميركي المباشر ضدّ السوفييت، لكنها جبهات متداخلة جداً، فقد قال كيسنجر للزعماء الصهاينة الأميركيين أن عدد المهاجرين اليهود (إلى فلسطين المحتلة) حين تسلّم وزارة الخارجية كان في حدود أربعمئة مهاجر سنوياً، فارتفع في عهده إلى اثنين وثلاثين ألفاً: نحن لم نأل جهداً، وما توقفنا في كل لقاء عن حثّ السوفييت على السماح بهجرة اليهود، لأن ذلك من شأنه تحسين الأجواء بيننا! ثم يضيف أن مبالغات السناتور هنري جاكسون تسببت في تقليص عدد اليهود المسموح لهم بالهجرة سنوياً إلى أحد عشر ألف، فقد أفقدتنا تلك المبالغات قدرتنا على الضغط، حيث ما من بلد يقبل بأن تملى عليه سياسته الداخلية على نحو ما كنا نفعل مع السوفييت! وقد توجه أحد الزعماء اليهود إلى كيسنجر بسؤال، حول ما إذا كان مفيداً رفع الحدّ الأعلى للديون، البالغ ثلاثمئة مليار دولار؟ فأجاب كيسنجر: أنا لا أملك جواباً جازماً. خذوا وضعية الدولة الأكثر حظوة الممنوحة لرومانيا. أصدقكم القول أننا كنا سنواجه مشكلة عويصة لو لم نمنحها هذه الخطوة، لأن هذا كان من شأنه أن يفيد السوفييت في وقت كنا نعمل فيه على عزل رومانيا عن الاتحاد السوفييتي، ولو لم تحظ رومانيا بهذه الأفضلية لأضرّ ذلك قطعاً باليهود فيها. أعتقد أنه سيكون من الضرر البالغ للطائفة اليهودية الأميركية أن يحال بين رومانيا ووضعية الدولة الأكثر حظوة، فالرومانيين لا يمكنهم بأي حال الالتزام رسمياً أمام الكونغرس الأميركي، لأن ذلك كفيل بأن يسبب لهم الحرج أمام السوفييت وأمام العرب بالطبع!

لقد كان اختراق رومانيا مثل اختراق مصر، وجاءت النتائج مكلفة جداً، بل رهيبية، على الصعيدين العربي والسوفييتي وعلى صعيد العالم عموماً، غير أن الزمن دار دورته، وهاهي الولايات المتحدة تتعثر وتتخبط اليوم ما بين أفغانستان والعراق وكوبا وفنزويلا، وها هي تمنى بهزيمة عسكرية نوعية أمام منظمة لبنانية صغيرة هي حزب الله!

www.snurl.com/375h